منهج الشيخ أمين أحسن الإصلاحي بالتفسير المأثور في تفسيره "تدبر قرآن"

القسم الأول

إعداد الدكتور افتخار أحمد *

مفهوم التفسير بالمأثور وبيان أقدميته:

المراد بالتفسير المأثور الذي سأتناوله بالبحث هنا ما يلي:

١- تفسير القرآن بالقرآن.

٢- تفسير القرآن بالحديث النبوي.

٣- تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين.

وكل هذه المباحث التي سأتناولها كموضوع تعيننا على فهم منهج الإصلاحي من خلالها، فحين أتحدث مثلا عن تفسير بالقرآن في تفسير "تدبر قرآن" لا أتحدث عنه كموضوع وإنما أتحدث عنه بالقدر الذي يتضح منه منهج الإصلاحي، وكذلك في سائر المباحث.

---

* أستاذ في قسم الدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بهاولبور- باكستان.

أهمية التفسير بالمأثور وأقدميته:

ويجدر بنا قبل أن نذكر منهج الإصلاحي في التفسير بالمأثور -تدبر قرآن- أن نبين هنا أهميته هذا اللون من التفسير وأقدميته فنقول:

إن الطرق الأربعة المشار إليها أعلاه هي أحسن طرق التفسير عند السلف، قال ابن كثير[1] في مقدمة تفسيره:

"فإن قال قائل فما أحسن طرق التفسير فالجواب إن أصح الطرق في ذلك "أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر[2]، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر[3].

ثم قال ابن تيمية[4] وتابعة ابن كثير: "فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة

---

[1]- ابن كثير هو عماد الدين، أبو الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير ٧٠٠ – ٧٧٤ هـ أنظر ترجمته في طبقات المفسرين للداودي ص ٣٢٧، وشذرات الذهب ٦/٢٣١.

[2]- مقدمة تفسير ابن كثير ١/٣.

[3]-مقدمة أصول التفسير لابن تيمية ص ٢٩، وقد ذكر نفس الكلام السيوطي في كتابه الإتقان ١/٢٢٥، كذلك ذكر الزركشي في كتابه البرهان ٢/١٧٥، ١٧٦.

[4]- هو محمد بن أبي القاسم الحراني ٥٤٢، ٦٢٢هـ، أنظر ترجمته في طبقات المفسرين للسيوطي٢/٢١٠،وشذرات الذهب٢/١٠٢، والنجوم الزاهرة ٦/٢٦٢.

فإنها شارحة للقرآن، وموضحة له، قال تعالى ﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذين اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾[1].

وقال تعالى ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾[2].

قال تعالى ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾[3].

ولهذا قال رسول الله ﷺ ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه"[4]، يعنى السنة فهذا هو الطريق الثاني من طرق التفسير بالمأثور.

ثم قال أيضا: "وإذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك، لما شاهدوا من القرائن، والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، ولا سيما علماؤهم وكبراءهم"[5].

هذا وقد قال الحاكم المستدرك :"إن تفسير الصحابي الذي شهد

---

[1]- سورة النحل آية ٦٤.

[2]- سورة النحل آية ٤٤.

[3]- سورة النساء آية ١٠.

[4]- وأخرجه أبو داود في سننه ولفظه "ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه" سنن أبي داود ٢/٥٠٥، الطبعة الأولى الحلبي، ومستدرك الحاكم١/ ٩٠١، ومقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص ٢٩،٣٠، وفي الإتقان: فهو فهمه من القرآن" ٢/٢٢٥.

[5]- مقدمة في أصول التفسير ص ٣٠، ومقدمة ابن كثير ٣/١.

الوحي والتنزيل له حكم المرفوع"[1].

إلا أنه عاد فقصر هذا العموم فى المستدرك وفي كتابه علوم الحديث حيث قال: إن الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل فأخبر عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا وكذا فإنه حديث مسند" [2].

وكذلك قيده بعضهم ما كان في بيان اسباب النزول ونحوه مما لا مجال للرأي فيه، وإلا فهو موقوف، ووجهة نظر الحاكم ومن وافقه [3]، إن الصحابة رضوان الله عليهم قد شاهدوا الوحي والتنزيل، وعرفوا وعاينوا من أسباب النزول ما يكشف لهم النكات من معاني الكتاب ولهم من سلامة فطرتهم، وصفاء نفوسهم، وعلو كعبهم في الفصاحة والبيان ما يمكنهم من الفهم الصحيح لكلام الله، وما يجعلهم يوفقون لمراد الله من تنزيله وهداه" [4]، وهذا هو الطريق الثالث من طرق التفسير بالمأثور.

أما الطريق الرابع فهو تفسير القرآن بأقوال التابعين وتابعيهم ففيه خلاف بين العلماء من حيث الاحتجاج به، منهم من اعتبره من المأثور لأنهم تلقوه من الصحابة غالبا، ويراه صالحا للاحتجاج به،

---

[1]- المستدرك على الصحيحين مع التخليص كتاب التفسير ٢/٢٥٨، وقد ذكر السيوطي الخلاف في قول الصحابي هل هو من قبل المسند أو الموقوف، أنظر الاتقان ١/٤- ٤٢.

[2]- كتاب معرفة علوم الحديث ص ٣٢ أ]و عبد الله الحاكم.

[3]- مناهل العرفان ٢/١٣، عبد العظيم الزرقاني.

[4]- التفسير والمفسرون ١/١٥٢، للدكتور محمد حسين الذهبي.

ومنهم من قال: وهذا هو الطريق الثالث من طرق التفسير بالمأثور.

أما الطريق الرابع فهو تفسير القرآن بأقوال التابعين وتابعيهم ففيه خلاف بين العلماء من حيث الاحتجاج به، منهم من اعتبره من المأثور لأنهم تلقوه من الصحابة غالبا، ويراه صالحا للاحتجاج به، ومنهم من قال: إنه من التفسير بالرأي- ولم يأخذ به ولم يعتبره حجة، وإذا أورده في التفسير فللاستئناس به والاستشهاد لا للاحتجاج.

وذكر ابن تيمية الخلاف بقوله:

"إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين كمجاهد بن جبر[1]،وسعيد بن جبير[2]، وعكرمة[3]، مولى بن عباس[4]، وعطاء بن

---

[1]- وكان مولده سنة ٢١ في خلافة عمر، ومات بمكة سنة اثنين أو ثلاث ومائة وهو ساجد، وله ثلاث في ثمانين سنة، تذكرة الحفاظ للذهبي ١ /٩٢، وميزان الاعتدال للذهبي ٤٣٩/٣، وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ٤٢/١٠، ٤٤، وطبقات المفسرين للداودي ٣٠٥/٢، ٣٠٨.

[2]- أنظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٧١/٢، ٣٧٤، طبقات المفسرين للداودي ١٨٨/١، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٧٦/١.

[3]- هو مولى ابن عباس أبو عبد الله البربري توفي ١٠٧، تهذيب التهذيب ٢١٣/٧، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٨٩/١، أسد الغابة ١٣٩/٣ ، والإصابة في تمييز الصحابة ٣٢١/٢.

[4]- هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي ابن عم الرسول توفي سنة ٦٨، أنظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٢٧٨/٥، أسد الغابة ١٩٣/٣، والإصابة في تمييز الصحابة ٣٢١/٢.

أبي رباح[1]، والحسن البصري[2]، وسعيد بن المسيب[3]، ومسروق بن الأجدع[4]، وغيرهم من التابعين، وتابعيهم ومن بعدهم [5].

فتذكر أقوالهم في الآية فيقع في عباراتهم تباين في الألفاظ يحسبها من لا علم عنده اختلافا فيحكيها أقوالا وليس كذلك فإن منهم من يعبر عن الشيء بلازمه أو نظيره ومنهم من ينص على الشيء

---

[1]- ثقة فقيه عالم كثير الحديث لكنه كثير الإرسال توفي ١١٤هـ، على المشهور تهذيب التهذيب ١٩٩/٧، والتقريب ٢٢/٢.

[2]- إمام أهل البصرة وحبر الأمة في زمانه ولد بالمدينة المنورة سنة ٢١ هـ، رأي عليا وطلحة وعائشة رضي الله عنهم أجمعين، ثقة فقيه فاضل مشهور، وقد قارب تسعين، التهذيب ٢٦٢/٢، والتقريب ١/ ١٦٥، ووفيات الأعيان ٦٩/٢، ٧٢.

[3]- قال ابن توفي سنة ٦٨، أنظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٢٧٨/٥، أسد الغابة ١٩٣/٣، والإصابة في تمييز الصحابة ٣٢١/٢.

[3]- ثقة فقيه عالم كثير الحديث لكنه كثير الإرسال توفي ١١٤هـ، على المشهور تهذيب التهذيب ١٩٩/٧، والتقريب ٢٢/٢.

[3]- إمام أهل البصرة وحبر الأمة في زمانه ولد بالمدينة المنورة سنة ٢١ هـ، رأي عليا وطلحة وعائشة رضي الله عنهم أجمعين، ثقة فقيه فاضل مشهور، وقد قارب تسعين، التهذيب ٢٦٢/٢، والتقريب ١/ ١٦٥، ووفيات الأعيان ٦٩/٢، ٧٢.

[3]- قال ابن المديني لا أعلم في التابعين أوسع علما منه، مات بعد التسعين وقد ناهز الثمانين، التقريب، التهذيب ٣٠٦/١، ووفيات الأعيان ٣٧٥/٢، ٣٧٨.

[4]- ثقة فقيه، عابد، مات سنة اثنتين وقيل ثلاث وستين، التقريب، التهذيب ٢٤٣/٢.

[5]-مقدمة في أصول التفسير ص ٣٤.

بعينه والكل بمعنى واحد في كثير من الأماكن.

وقال شعبة [1] بن الحجاج وغيره : أقوال التابعين في الفروع ليست حجة فيكف تكون حجة في التفسير يعنى أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم [2]، ثم يصوب كل واحد من ابن تيمية، وابن كثير، رأي شعبة فيقولان وهذا صحيح.

ثم يستثنيان حالة اجماعهم على شيء فإنه حجة حيث قال: "وأما إذا اجتمعوا على شيء فلا ريب في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض، ولا على من بعدهم ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن، والسنة، وعموم لغة العرب، أو أقوال الصحابة [3].

ويميل الزركشي إلى هذا الرأي فلا يذكر التابعين كطريق رابع من طرق التفسير بل يجعل المرتبة الرابعة في السلم التفسيري هي الرجوع إلى النظر والاستنباط الذي يدخل فيه دخولا أوليا لمعرفة تراكيب اللغة ومفرداتها، وفيما يلي نص الزركشي حيث قال:

"فإن لم يوجد التفسير في السنة يرجع إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوا عن القرائن ولما أعطوا من الفهم العجيب، فإن

---

[1]-هو شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي مولاهم الواسطي ثم البصري ثقة حافظ متقن، ولد سنة ٨٢هـ، ومات سنة ١٦٠هـ بالبصرة، تهذيب التهذيب ٣٣٨/٤، ٣٤٥، ووفيات الأعيان ٣٦٩/٢، ٣٧٠.

[2]- مقدمة في أصول التفسير ص ٣٤، ٣٥، ومقدمة ابن كثير ملخصا ١/ ١٤.

[3]- مقدمة في أصول التفسير ص ٣٥، ومقدمة تفسير ابن كثير ٥/١.

لم يوجد ذلك يرجع إلى النظر والاستنباط بالشرط السابق" [1].

منهج الإصلاحي في تفسير القرآن بالقرآن:

لا شك في أن تفسير القرآن بالقرآن من القواعد المسلمة لدى جميع المفسرين التي لا يخالف فيها أحد، وهو أحسن طرق التفسير كما قال ابن تيمية وتلميذه ابن كثير حيث قال: فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر" [2].

معنى ذلك أن القرآن هو المصدر الأول من مصادر التفسير.

والشيخ الإصلاحي قسم وسائل فهم القرآن في مقدمة تفسيره "تدبر قرآن" إلى قسمين:

- الوسائل الداخلية.
- الوسائل الخارجية.

وربما يسمى القسم الأول بالأصول القطعية والثاني بالمآخذ الظنية.

وقد ذكر في القسم الأول ثلاثة أشياء:

- لغة القرآن.
- نظم القرآن.

---

[1]- البرهان ٢/١٧٥، ١٧٦.

[2]- مقدمة في أصول التفسير ص ٣٩.

- تفسير القرآن بالقرآن [1] .

فنحن نرى هنا أن الإصلاحي قد وضع هذا النوع من التفسير- أي تفسير القرآن بالقرآن- من بين الوسائل المذكورة لفهم القرآن والدليل على ذلك كلام الإصلاحي التالي:

وقال الإصلاحي في كتابه: "مبادئ تدبر قرآن" حول تفسير القرآن بالقرآن : "التركيز على نفسه هو الأصل في فهم القرآن وتدبره، ومن هنا يجب على كل من يهمه فهم القرآن أن يهتدي بالقرآن الكريم، وحده في حل المشكلة، ومذهب السلف من غير اختلاف بينهم أن القرآن يفسر بعضه بعضا [2]، وقد وصف القرآن نفسه بكونه كتابا متشابها[3]، وذكر في بعض المواضع منه أن الله تعالى كما أنزل القرآن على عبده كذلك تكفل بشرحه وبيانه[4]، وقد وافق على هذا جميع المفسرين وأهل التأويل من حيث المبدأ، ولكن ما حقيقة هذا البيان الذي تكفل الله به؟ هذا هو الأمر الذي لم ينكشف على الناس تماما فكانت النتيجة أن معظم المفسرين استصعبوا هذا الطريق ودخلوا في وديان أبعدتهم عن فهم القرآن، مع أن القرآن هو نفسه مفتاح

---

[1] -مقدمة تفسير تدبر قرآن ١/٢٧، ٢٨.

[2] - التفسير والمفسرون للذهبي ١/٣٧.

[3] -أشار الإصلاحي إلى قوله تعالى ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني﴾ سورة الزمر آية ٢٣.

[4] - أشار الإصلاحي إلى قوله تعالى ﴿ثم إن علينا بيانه﴾ سورة القيامة آية ١٩.

لفهم القرآن، ويفصل بنفسه جميع مجملاته، ولا يحتاج إلى شيء في تعيين معانيه وتوضيح مقاصده ولا في شرح نكاته وحقائقه، بل هو يحتوي على رصيد كبير من الأمثلة والأشباه والنظائر التي يستعان بها في حل مشكلات ألفاظه ودقيق أسلوبه، وإن هذا لمن إعجاز بلاغة القرآن، ومن ميزاته التي لا يشارك فيها كتاب سواه" [1].

وقد ظهر مما ذكر مبلغ اعتنائه بالقرآن الكريم في التفسير ولا شك في أنه كثير الاهتمام بهذا الجانب في التفسير بالمأثور، وقد استطاع أن يصل دقائق نفيسة في تفسير بعض الآيات من القرآن.

نذكر هنا بعض الأمثلة لتوضيح منهج الشيخ الإصلاحي في هذا اللون من التفسير.

منهج الشيخ الإصلاحي في تفسير الآية القرآنية بنظيرها فمن ذلك تفسيره لقوله تعالى من سورة الفاتحة ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ [2].

قال في تفسير هذه الآية : هذا بيان على وجه الإجمال حيث لم تشر إلى نوعية النعم عليهم ولكن بينتها الآية الأخرى [3]، وهي قوله سبحانه وتعالى ﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا﴾ [4].

---

[1]- مبادئي تدبر قرآن ص ٥٢، ٥٣.

[2]- سورة الفاتحة آية ٦.

[3]- تدبر قرآن ١/٦٠.

[4]- سورة النساء آية ٦٩، وأضواء البيان ١/١٠٤.

وربما يعين معنى الآية ويستدل من الآية الأخرى فمن ذلك قوله تعالى ﴿المغضوب عليهم﴾ [1] حيث قال الإصلاحي في تفسيرها "اليهود هم المصداق الحقيقي لهذه الآية، وذكرهم الله تعالى بصراحة في مقام آخر [2] حيث قال:

أ- ﴿من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير﴾ [3].

ب- وقوله تعالى ﴿وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله﴾ [4].

٣) وفسر قوله تعالى ﴿الضالين﴾ [5]، حيث قال: "إن المراد بها الذين أفرطوا في الدين، وتجاوزا عن حدود الله تعالى التي حددها الله تعالى، ومثال ذلك في الأمم السابقة هم النصارى، ولذلك عدهم الله من الضالين وقال في مقام آخر [6] ﴿قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل﴾ [7].[8]

---

[1]- سورة الفاتحة آية ٧، تدبر قرآن ٦٠/١.، وكذلك ذكر صاحب تفسير الخازن في تفسير هذه الآية ٢٣/١، والبغوي ٢٣/١، والبحر المحيط ١ /٤٨، وتفسير الطبري ٥٨/١، وابن كثير ٤٨/١، وروح المعاني٩٤/١.

[2]- تدبر قرآن ٦٠/١.

[3]- سورة المائدة آية ٦٠.

[4]- سورة البقرة آية ٦، والتفسير الطبري ٦١/١، ٦٢.

[5]- سورة الفاتحة آية ٧.

[6]- تدبر قرآن ٦١/١.

[7]- سورة المائدة آية ٧٧.

[8]- تدبر قرآن ٦١/١، ومعارف القرآن ٩٢/١.

٤) وربما يفسر الآية التي تتعلق بمسألة فقهية مستدلا بالآيات القرآنية مثال ذلك قوله تعالى﴿ويقيمون الصلاة﴾[١]،وذكر فيها ستة شروط لإقامة الصلاة حيث قال:

أولا: مفهوم إقامة الصلاة:

"الإقامة" هو قيام الشيء مستويا وتسويتها بحيث لا يبقى فيها عوج ولا ميل، وقال الله تعالى ﴿يقيمون الصلاة﴾ ولم يقل "يصلون"، وأشار القرآن الكريم بإقامة الصلاة إلى حقائق مختلفة وهي:

١-لا بد من الإخلاص فيها، وأن تكون ابتغاء وجه الله فقط دون غيره، وذكر الله تعالى هذه الحقيقة في مقام آخر حيث قال:﴿واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين﴾ [٢]، ومن هنا نقول لا بد أن يكون وجه المصلى إلى القبلة، لأنها مركز التوحيد والإخلاص.

٢- الخشوع والخضوع في الصلاة، حيث قال الله تعالى ﴿وأقم الصلاة لذكري﴾ [٣]، وقال في مقام آخر﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ [٤].

٣- أن يؤديها كما حقها حيث قال الله تعالى ﴿فإذا أمنتم فاذكروا الله

---

[١]- سورة البقرة آية ٣.
[٢]- سورة الأعراف آية ٢٩.
[٣]- سورة طه آية ١٤.
[٤]- سورة المؤمنون آية ١، ٢.

كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ [1].

٤- لا بد أن يؤديها في وقتها حيث قال تعالى﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر ﴾ [2]، وقوله تعالى ﴿حافظوا على الصلوات ﴾ [3].

٥- ولا بد أن يكون أداءها على وجه الدوام والمواظبة حيث قال تعالى﴿الذين هم على صلاتهم دائمون ﴾ [4].

٦- الاهتمام بالجماعة حيث قال تعالى﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وأتوا الزكاة ﴾ [5]. [6]

٥) وربما يعين مفهوم الآية ويذكر آيات أخرى استشهادا عليه حيث قال في تفسير قول الله تعالى ﴿يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي اوف بعهدكم وإياي فارهبون ﴾ [7].

"أذكروا" قال:"إن فيها دعوة لبنى إسرائيل بأسلوب اللوم أي أذكروا لأنكم نسيتم النعمة التي أنعمت عليكم وظننتم أنكم حصلتم عليها باستحقاقكم، وبوارثتكم، فقال في تفسير "النعمة" إن المراد بها

---

[1]- سورة البقرة آية ٢٣٩.
[2]- سورة الإسراء آية ٧٨.
[3]- سورة البقرة آية ٢٣٨.
[4]- سورة المعارج آية ٢٣.
[5]- سورة الحج آية ٤١.
[6]- تدبر ١/٩١، ٩٢.
[7]- سورة البقرة آية ٤٠.

الفضيلة.

والنعمة التي ذكرها الله تعالى في الآيات الأخرى التي توضح هذا الاجمال منها قوله تعالى:

١- ﴿يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتي انعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين﴾ [١].

وأشار بها إلى النعمة التي أعطاها في صورة السيادة والإمامة.

٢- ﴿واذكروا نعمت الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا﴾ [٢]، وأشار بها إلى نعمة الشريعة التي كانت بينهم وبين الله بمنزلة الميثاق، ولذا أخذه الله منهم ووعدهم به الفوز في الدنيا والآخرة.

٣- ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمت الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وأتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين﴾ [٣]، ثم قال: "إن هذا يوضح الإجمال السابق" [٤].

٦) ومنها تفسيره قوله تعالى ﴿ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود﴾ [٥]، فقال: أي يجمع كل الناس في هذا اليوم، والذين جاءوا من قبل ومن بعد من الأنبياء وأممهم والذين يدعون الناس إلى

---

[١]- سورة البقرة آية ٤٧.
[٢]- سورة المائدة آية ٧.
[٣]- سورة المائدة آية ٢٠.
[٤]- تدبر ٢/٤٨٦، ٤٨٧.
[٥]- سورة هود آية ١٠٣.

البر،وكذلك إلى المعصية، وكذلك الحاكم والمحكوم،والشاهد والمشهود، لتجزي كل نفس بما كسبت، ومن عمل صالحا فلنفسه، ومن أساء فعليها، وذلك يوم مشهود، وخص جميع الناس ليحكموا بينهم بالعدل، وذكرت هذه الحقيقة في الآيات الأخرى ونشير إلى بعضها لكي تتضح الصورة الصحيحة في الذهن [1]، منها:

١- قوله تعالى ﴿والسماء ذات البروج*واليوم الموعود* وشاهد ومشهود﴾ [2].

٢- ومنها قوله تعالى﴿إنا لننصر رسلنا والذين أمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ [3].

٣- ومنها قوله تعالى﴿ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم﴾ [4].

٤- ومنها قوله تعالى﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وايديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ [5].

٧- لقد كان من منهج الشيخ الإصلاحي في تفسير القرآن أن يحمل المجمل على المبين يفسر به، فمن ذلك تفسيره لقوله تعالى ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه﴾ [6]، فقال : إن لفظة كلمات

---

[1]- تدبر ٣/٣١٨، ٣١٩.
[2]- سورة البروج آية ١، ٣.
[3]- سورة المؤمن آية ٥١.
[4]- سورة النحل آية ٨٩.
[5]- سورة النور آية ٤٢.
[6]- سورة البقرة آية ٣٧.

في الآية مجملة وجاء تفسيرها في مقام آخر وهو قوله تعالى ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ [1]، وقال بعد هذا فعلم من تلقى "أن كلمات التوبة أنزلت من قبل الله تعالى" [2].

٨) ومنها قوله تعالى﴿أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم﴾[3]، فقال الإصلاحي في قوله تعالى ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾ إشارة إلى الآية التالية من السورة نفسها في بيان المحرمة وهي قوله سبحانه وتعالى﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير﴾[4]،كان الآية الأولى مبهمة والثانية مفسرة لها"[5].

٩) كذلك فسر الشيخ الإصلاحي قوله تعالى﴿قال هذا صراط علي مستقيم﴾ [6]، حيث قال: "إن هذا طريق التوحيد الذي تريد (يا ابليس) إغواء بنى آدم فهو ليس طريق معوج، بل هو صراط مستقيم لعبادي الذين يريدون الوصول إلى أن اختاروه فهو بنفسه يوصلهم إلى بدون خوف الضلال والإعوجاج، ووقوع كلمة ﴿علي﴾ في قوله تعالى ﴿علي مستقيم﴾ بعد كلمة ﴿صراط﴾ موافق لأسلوب خاص في اللغة العربية، وقال بعد هذا نكتفي بذكر

---

[1]- سورة الأعراف آية ٢٣.
[2]- تدبر ١٦٩/١.
[3]- سورة المائدة آية ١.
[4]- سورة المائدة آية ٣.
[5]- تدبر ٤٥٢/٢، ٤٥٩.
[6]- سورة الحجر آية ٤١.

بعض النظائر من الآيات القرآنية:.

١- منها قوله تعالى﴿إني توكلت علي الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم﴾ [١].

٢- وقوله تعالى ﴿وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين﴾ [٢].

وقد يتفرد الشيخ الإصلاحي بتعيين مفهوم آية ويستدل لتأييد رأيه وينكر الاحتمالات الأخرى، مثال ذلك قوله تعالى ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ [٣]، حيث قال في تفسيره: "إن المراد بالروح في هذه الآية هو الوحي المساوي، وفي تعبير الروح عن الوحي الإلهي إشارة إلى أن حياة الروح والعقل والقلب هي بالوحي الإلهي، وقد وردت الروح في القرآن الكريم بهذا المعني في مواضع متعددة منها:

١-قوله تعالى ﴿ينزل الملائكة والروح من أمره على من يشاء من عباده﴾ [٤].

٢-وقوله تعالى ﴿يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده وينذر يوم التلاق﴾ [٥].

---

[١]- سورة هود آية ٥٦.
[٢]- سورة النحل آية ٩، وتدبر قرآن ٤/٣٥٩، ٣٦٠.
[٣]- سورة الإسراء آية ٨٥.
[٤]- سورة النحل آية ٢.
[٥]- سورة الغافر آية ١٥.

٣-وقوله تعالى ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا﴾ [١].

ويقول الإصلاحي: "إن الغرض من سؤال الكفار لم يكن التحقيق عن الأمر، بل كان غرضه الاعتراض والاستهزاء فقط، ولذا قيل في جوابهم ﴿قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ حيث لا تستطيعون أن تطلعوا على جميع أسرار الله تعالى، وإن شئتم فهذا فزعمكم الباطل الذي لا أصل له" [٢].

فنرى أن الشيخ الإصلاحي هنا عين معنى الروح وهو وحي الله تعالى، وقال: "إن الذين اعتبروا الروح في الآية روح بنى آدم أخطاءوا فيها، وقد ذكر الإمام البخاري في صحيحه سبب نزول هذه الآية مرة في كتاب العلم ومرة في كتاب التفسير[٣]، باختلاف الألفاظ، وقد ذكر الشيخ المحدث أحمد علي السهارنفوري خمسة أقوال في شرح الآية المذكورة التي ذكرها البخاري هي:

قوله ﴿الروح﴾ الأكثر أنه الروح الذي في الحيوان، سألوا عن حقيقته فأخبر عنه:

١- إنه من أمر الله أي مما استأثر الله بعلمه.

٢- وقيل هي خلق عظيم روحاني أعظم من الملك.

---

[١]- سورة الشورى آية ٥٢.

[٢]- تدبر ٤/٥٣٩، ٥٤٠.

[٣]- صحيح البخاري كتاب التفسير ٢/٦٨٦.

٣- وقيل هو خلق كهيئة الناس.

٤- وقيل هو جبريل.

٥- وقيل هو القرآن.

ومعنى قوله ﴿من أمر ربي﴾ من وحيه وليس من كلام البشر [١].

قال العلامة العيني في شرح هذا الحديث في عمدة القاري شرح صحيح البخاري وسؤالهم عن الروح بقولهم ما الروح؟ مشكل إذ لا يعلم مرادهم لأن الروح جاءت في القرآن الكريم على معان...فلو عينوا سؤالهم لأمكن أن يجيبهم، وقال بعد هذ: فقال القائل يمكن أن يكون سؤالهم عن روح بنى آدم، لأنه مذكور في التوارة أنه لا يعلمه إلا الله، قالت اليهود: إن فسر الروح فليس نبيا، فلذلك لم يجبهم"[٢]، وذكر بعد هذا خمسة أقوال التي ذكرناها.

وذكر الإمام ابن كثير اختلاف المفسرين في تفسيره لتعيين الروح فقال:

أولا: المراد به أرواح بنى آدم، قال العوفي عن ابن عباس في قوله ﴿ويسألونك عن الروح﴾ وذلك أن اليهود قالوا للنبى ﷺ أخبرنا عن الروح كيف تعذب التي في الجسد، وإنما الروح من الله؟ ولم يكن نزل عليه فيه شيء، فلم يرد عليهم شيئا، فأتاه جبريل فقال: ﴿قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم

---

[١]- المصدر نفسه ١/٢٤، ٢/٦٨٦.

[٢]-عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني ٢/٢٠١،٢٠٠.

من العلم إلا قليلا﴾ فأخبرهم النبي ﷺ بذلك، فقالوا من جاء بهذا؟ قال جاءني به جبريل من عند الله، فقالوا له والله ما قاله لك إلا عدوانا، فأنزل الله تعالى ﴿قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزل على قلبك﴾ [1]

ثانيا: المراد بالروح هنا جبريل، قاله قتادة ورواية عن ابن عباس يقول "الروح" الملك،[2]، وسرد ابن كثير بقية الأقوال التي ذكرناها سابقا.

ومن هذا العرض والمقارنة يتضح تفرد الإصلاحي برأيه في الروح حيث لم يوافقه في ذلك أحد ما ذهب إليه من حصر الروح في الوحي الإلهي.

إن الرؤية الواضحة والعقيدة الصحيحة تجعل المفسر لا تشتبه عليه الآيات بل يرد كل فرع إلى أصله، وكل مشتبه إلى محكمه، ومثل هذا في إزالة توهم الإشكال عن آيات القرآن بآيات قرآنية أخرى، ومثال ذلك ما قاله الشيخ الإصلاحي عن قوله تعالى﴿فيؤمئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان﴾ [3]، حيث قال: "إن هناك أنواع مختلفة للسؤال، فالسؤال المنفى هنا هو على وجه الاستخبار وطلب التعريف

---

[1]- تسورة البقرة آية ٩٧.

[2]- تفسير ابن كثير ٣/٦٠، وانظر قاموس القرآن للدامغاني ص ٢١٢.

[3]- سورة الرحمن آية ٣٩.

إذ لا يحتاج إلى ذلك لأن المجرمين يعرفون بسيماهم[1]،وبين الله تعالى سبب عدم السؤال عنهم حيث قال ﴿حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون﴾ [2].

وأما السؤال على وجه الحساب والتوبيخ[3]، والملامة والاستهزاء فلا نفي له هنا، وكذلك الأسئلة المذكورة في القرآن الكريم، فلذا لا تعارض بين النفي والإثبات [4].

منهج الإصلاحي في التفسير بالحديث النبوي:

ذكر الإصلاحي في مقدمة تفسيره، وهو بصدد توضيح أدواته الخاصة التي سماها الأدوات الخارجية لفهم القرآن، الأحاديث المتواترة والمشهورة، وكذلك ذكر أخبار الآحاد مع ذكر أقوال الصحابة ولكنه خالف ما ذكره، وإن كان اعتماده على الأول دون الثاني، فأولا نذكر موقفه من السنة المتواترة والمشهورة وبعد ذلك نذكر الأمثلة من تفسيره على ذلك وبالله التوفيق.

---

[1]- كما قال تعالى {يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام} سورة الرحمن آية ٤١.

[2]- سورة حم السجدة آية ٢٠.

[3]- مثل قوله تعالى ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين﴾ سورة الحجر آية ٩٢.

[4]- تدبر ١٤٢/٨.